مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــــ المجلد: 10 / العـدد:02 (جويلية2022) ص 462–475
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

من أعلام الفكر والدين والإصلاح بإقليم توات وبلاد السودان الغربي:

الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي المتوفى سنة 909هـ

Sheikh Muhammad bin Abdulkarim Al-Maghili- A thinker and reformer in the regions of Tuat and Western Sudan

الدكتور: عبد القادر بوحسون
Abdelkader BOUHASSOUN
1 جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة (الجزائر)، abdelkader.bouhassoun@univ-saida.dz

تاريخ الاستلام: 2022/01/02	تاريخ القبول: 2022/04/18	تاريخ النشر: 2022/07/14

الملخص:

عرفت الجزائر عبر تاريخها العريق بروز العديد من الشخصيات التي اشتهرت في مجالات علمية مختلفة (العلوم الشرعية، الأدب، الفلسفة، الفلك، الطب، التاريخ...)، حيث تركت بصمة واضحة في التاريخ الحضاري سواء المحلي منه أو الإنساني، وبات من الضروري اليوم أكثر من أي وقت مضى التعريف بهؤلاء الأعلام والإشادة بأدوارهم المختلفة لاسيما في مجال الفكر والإصلاح حيث تقل الدراسات العلمية في هذا المجال العلمي الهام.

ومن جملة أولئك الأعلام الذين برزوا واشتهروا في هذا التخصص سواء بالمغرب الأوسط أو البلدان التي ارتحلوا إليها وحلوا بها نذكر: الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي اشتهر بإقليم توات وبلدان جنوب الصحراء (السودان الغربي) حيث ترك بصمة واضحة لازالت نفحاتها قائمة إلى يومنا هذا في العديد المناطق داخل الجزائر وخارجها .

الكلمات المفتاحية: توات . السودان الغربي . المغيلي . الفكر . الإصلاح.

Abstract:

Algeria has witnessed throughout its ancient history the emergence of several significant personalities who have become well-known in many scientific fields namely; religious sciences, literature, philosophy, astronomy, medicine, history and so on. These personalities have left a clear imprint in civilized history -either local or human history-. Actually, nowadays it has become a necessity to talk about these scholars and to praise their immense roles especially in the field of thought and reform where few studies have been done to investigate this important field. Among those scholars who emerged and became famous in this specialty either in central Maghreb or in the countries that he migrated to and settled in, we have Sheikh Muhammad bin Abdul –Karim Al-Maghili. In fact, he became famous in Tuat and south Sahara (western Sudan) as he has left a discernible imprint which still has its impacts till nowadays in many regions inside and outside Algeria.

Keywords: Tuat, Western Sudan, Al-maghili, Thought, Reform.

المؤلف المرسل: د. عبد القادر بوحسون ،**الإيميل**: abdelkder.bouhassoun@univ-saida.dz

1.مقدمة:

إن الدارس والقارئ لتاريخ الجزائر عبر مختلف العصور والحقب التاريخية يجده مليئا وحافلا بالشخصيات التي برزت في مجالات عديدة (المجال السياسي، العسكري، الثقافي والحضاري..)، وتركت بصمة واضحة في تاريخ وحضارة بلادنا والبلاد التي حلوا بها وارتحلوا إليها، وبات من الضروري اليوم أكثر من أي وقت مضى التعريف بهؤلاء الأعلام وبأعمالهم لاسيما في مجال الفكر والإصلاح حيث تقل الدراسات من هذا النوع على الرغم من بروز عدد هام من الأعلام في هذا المجال، ممن كانت لهم بصمة واضحة في تراث الإنسانية جمعاء، ومن هؤلاء الأعلام الشيخ العالم والمصلح: محمد بن عبد الكريم المغيلي.

فمن يكون الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي؟

وما هي أبرز أعماله، وما موقفه من قضايا عصره؟

ومن خلال هذه الدراسة سنحاول إبراز دور الشيخ المغيلي في مجال الفكر والإصلاح بمنطقة توات وبلاد السودان الغربي معتمدين في ذلك على أهم المصادر والمراجع المرتبطة بالموضوع ومتقيدين بالمنهج التاريخي القائم على جمع المادة العلمية وتحليلها قصد الوصول إلى الحقيقة العلمية وما تقتضيه الموضوعية العلمية.

2 نسبه ونشأته:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني من أكابر علماء المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري، حيث كان عالما في الفقه والتفسير والحديث والمنطق، قال فيه ابن مريم صاحب كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان:

" **إنه أحد أذكياء العالم وأفراد العلماء الذين أوتوا بسطة في العلم والتقدم**" (ابن مريم، 1986، صفحة 253).

كان مولده بقبيلة مغيلة البربرية بالقرب من مدينة تيهرت، ونحن نجهل سنة ولادته بالتحديد أما وفاته فكانت حوالي 909هـ (زبادية، 1987، صفحة 153) ، وقد نشأ المغيلي بمغيلة وحفظ القرآن الكريم بها على عادة طلبة العلم في زمانه، وبعد التحصيل التعليمي الأول بمسقط رأسه ارتحل إلى مدينة بجاية إحدى حواضر العلم الكبرى في ذلك الزمان، فعكف بها على دراسة مختلف العلوم النقلية والعقلية على يد مشاهير العلماء أمثال الشيخ يحيى بن يدير والشيخ أبي العباس الوغليسي وغيرهما (لا تعطينا المصادر التاريخية معلومات وافية عن حياته الأولى)، ثم انتقل بعدها إلى مدينة العلم والعلماء: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط آنذاك، وهنالك زاول مهنة التدريس بعد أن توسعت مداركه ومعارفه فتتلمذ على يده عدد كبير من الطلبة ممن أصبحوا علماء فيما بعد أمثال: الشيخ أحمد آيد، العاقب الأصنامي، محمد بن عبد الجبار الفيجيجي وغيرهم (بوعزيز، 2003، صفحة 235).

وخلال مكوثه بمدينة بتلمسان لاحظ الشيخ المغيلي التعفن والانحلال وسط المجتمع الزياني وتحكم فئة من اليهود التي كانت مستقرة بالمدينة في أمور كثيرة لاسيما التجارة، ووصل بهم الأمر إلى حد التدخل في الأمور السياسي، فقرر مغادرة المدينة وقصد واحة توات (جنوب الجزائر حاليا، تقع ضمن امتداد أدرار تيميمون وعين صالح) سنة 882هـ/1279م واستقر بها في واحة تمنطيط ثم انتقل إلى واحة بوعلي الهني وهنالك أسس زاويته الدينية، والتي لا تزال تحمل اسمه لليوم (بوعزيز، 2003، صفحة 236).

3. دوره بإقليم توات:

1.3.التعريف بإقليم توات:

يقع إقليم توات في الجنوب الغربي الجزائري ضمن امتداد أدرار تيميمون وعين صالح، وأطلق بعض الكتاب القدماء اسم إقليم توات على المناطق الثلاث، والتي كانت ذات شهرة كبيرة كونها تقع في طريق القوافل التجارية العابرة للصحراء، بحيث تمثل محطة هامة لتلك القوافل و مخزنا للبضائع (فرج، 1977، صفحة 04).

وإننا نجد اختلافا حول أصل ومدلول كلمة توات، فهناك من يرى بأنها من أصل تكروري تعني وجع الرجع، والبعض يرى بأنها اسم لأحد البطون المنحدرة من قبيلة صنهاجة، بينما أرجع فريق ثالث اسمها إلى الإتاوات التي كانت تدفع للموحدين بداية من عام 518هـ/1124م (بودواية، 2005، صفحة 238 . 250).

وقد كانت توات بعد الفتح الإسلامي عبارة عن واحة يقصدها التجار العابرين للصحراء للتزود بالماء والتمر وللراحة، ومع مرور الوقت أصبحت نقطة تجمع للقوافل الشمالية القاصدة لأسواق السودان الغربي، واتسعت على غرار جل المدن والمراكز التي أنشئت على طريق القوافل التجارية كسجلماسة، ورجلان، غدامس...، حيث كان التجار بهذه المدن أو المراكز التجارية بمثابة الوكلاء أو الأدلاّء التجاريين (زبادية، 1987، صفحة 28).

وتمتع إقليم توات في العصر الوسيط بنوع من الحرية إذ كان لمشايخها الحرية في تسيير وتدبير أمورهم، ومع بداية القرن 13م وفدت على الصحراء جماعات من عرب المعقل استقرت بالمنطقة وبمرور الوقت صار لها نفوذ سياسي بعدما استغلت الخلافات المستمرة بين مختلف القبائل التواتية (فرج، 1977، صفحة 6).

وأصبحت الواحة يسيطر عليها كبار التجار والأثرياء من ذوي النفوذ الديني و الاقتصادي، لاسيما وأن أغلب السكان كان اهتمامهم كبيرا بقوافل التجارة المتنقلة بين الشمال والسودان الغربي، خاصة المنطلقة من وهران . تلمسان .. (بوعزيز، 2003، صفحة 235).

كما تواجدت بالإقليم كذلك أقلية يهودية يرجع أصلها إلى فترة قديمة نوعا ما كانت قد فرت إلى شمال إفريقيا بسبب التعصب الديني، وتزايد عددهم بمرور الوقت لاسيما بعد سقوط مدينة غرناطة حيث فر الكثير من اليهود نحو سواحل المغرب ومنها نزح بعضهم إلى إقليم توات وعاصمته آنذاك تمنطيط التي امتازت باتساع عمرانها وكثرة سكانها ومركزها العلمي والديني الكبيرين (بودواية، 2005، صفحة 240).

وإن إقليم توات بحكم موقعه الجغرافي وإرثه الحضاري والتاريخي الكبير، وشساعة مقاطعاته الثلاث فقد أدى دورا بالغ الأهمية في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية، وامتد اشعاعه إلى الكثير من المناطق والدول، إذ تخرج من المدارس والمعاهد المتواجدة به العديد من الطلبة وحملة العلم ممن قاموا بنشره في مختلف المدن والبوادي (شترة، 2018، صفحة 14).

وعموما كانت توات في ذلك الزمن منارة للعلم وسط الصحراء الشاسعة، وساهمت بشكل مباشر في مد السودان الغربي بالثقافة والحضارة العربية الإسلامية، وقد ساهم التاجر التواتي بمجهود كبير في نشر الدين الإسلامي بالدول الواقعة جنوب الصحراء ، حيث كانت توات منطلقا لرجال الدين المسلمين تجاه تلك البلدان لنشر تعاليم الإسلام وتنوير ساكنيها بالعلم والمعرفة، وقد ترك لنا مشايخ توات تراثا علميا هاما وكبيرا (فرج، 1977، صفحة 15) ، هذا التراث يبرز لنا مدى ازدهار الحياة العلمية والفكرية بالجزائر، ومدى أصالة هذا التراث ، هذا من جهة ومن جهة أخرى يُبرز مدى عُمق العلاقات الجزائرية الإفريقية عبر التاريخ، ومدى تأثير الحواضر العلمية الجزائرية و أعلامها في المدن والدول الواقعة جنوب الصحراء.

2.3.دوره بإقليم بتوات:

وأثناء مقام المغيلي بهذا الإقليم لاحظ مجددا سيطرة اليهود على حركة القوافل التجارية بالمنطقة، والنفوذ الكبير الذي يتمتعون به، فقرر محاربتهم للحد من نفوذهم وسيطرتهم، وأن يبقى تواجدهم كجالية لها من الحقوق وعليها من الواجبات، وهي القضية أو المسألة التي عُرفت تاريخيا بقضية يهود توات، و التي أحدثت انشقاقا وجدلا واسعين بين علماء الفترة، فهناك من ناصر المغيلي في قراره، بينما عارضه البعض وبخاصة علماء المغرب الأقصى، فاضطر للذهاب إلى فاس لشرح موقفه من قضية اليهود بإقليم توات، ولكنه غادرها مُغاضبا بعد أن اتُهم بالطموح للسياسة والرياسة، وبعد عودته من فاس غادر واحة توات وقصد بلاد السودان الغربي (يختار، 2005، صفحة 86) .

وقد ألف الشيخ كتاب حول المسألة أسماه: مصباح الأرواح في أصول الفلاح يشرح فيه موقفه من اليهود المتواجدين بتوات، كما وردت عليه عدة أجوبة موافقة لرأيه من علماء عصره أمثال الشيخ أبو مهدي عيسى بن

أحمد الماواسي، والشيخ ابن زكري التلمساني، و عبد الرحمان بن سعيد والشيخ البكري بن عبد الرحمان، هذا الأخير قال فيه قصيدة مطلعها: (البكري، 1993، صفحة 64)

يا ابن عبد الكريم قطب الفجاج سند المثقفين بدر الدياج

الغيور على الحنفية السمحا وناصرها بيوم العجاج

.....

كما كتب إليه الشيخ السنوسي في هذه المسألة أو القضية رسالة جاء فيها: " **إنه من عبد الله محمد بن يوسف السنوسي إلى الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي القيام بها لاسيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية والغيرة الإسلامية وعمارة القلب بشرف الإيمان السيد أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي** ..." (ابن مريم، 1986، صفحة 255).

وهذا كله إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة العلمية الكبيرة التي كان يتمتع بها شيخنا بين أقرانه من العلماء الذين أشادوا به وبعلمه وصلاحه ومواقفه تجاه قضايا عصره، هذا فضلا على المكانة التي حظي بها لدى الملوك والسلاطين لاسيما بعد ارتحاله إلى بلاد السودان الغربي.

4.رحلته إلى بلاد السودان الغربي:

قبل الحديث عن رحلة المغيلي إلى بلاد السودان الغربي ودوره العلمي والسياسي والإصلاحي بها لابد من التطرق إلى الأوضاع العامة بهذه البلاد المترامية الأطراف جنوبا في الصحراء الكبرى حتى يتسنى لنا فهم الكثير من الأحداث والمواقف بهذه الرقعة الجغرافية التي تعددت تسمياتها.

وإن هذه البلاد التي اصطلح على تسميتها بغرب إفريقيا أو السودان الغربي كانت مسرحا لقيام عدة دول أو ممالك إسلامية ساهمت بشكل أو آخر في الحضارة الإسلامية خلال العصر الوسيط، ولعل أهم هذه الممالك الإسلامية: مملكة غانة، مالي، صنغاي، مملكة الهوسة...، وهي جميعها متقاربة في التقاليد والعادات والمعتقدات، كما أننا لا يمكننا رسم حدود تابثة ومستقرة لها، لكونها متداخلة جغرافيا وسياسيا فيما بينها، ولا يوجد بينها حدود جغرافية طبيعية تفصل بينها (علي أيوب، (دت)، صفحة 58).

وقد كان العرب هم أول من أطلقوا كلمة السودان على الشعوب المستقرة بجنوب الصحراء الكبرى، وهذا نسبة إلى لون بشرتهم، أما بخصوص الدين الإسلامي فقد دخل إلى هذه المناطق عن طريق بعض الفتوحات الإسلامية عبر فترات زمانية متباعدة، لاسيما في عهد المرابطين، بيد أن العامل الأساسي لدخول الإسلامي كان

بفضل العلماء والدعاة والتجار، ومن بين أولئك العلماء الذين كان لهم الأثر الكبير في تعميق الإسلام بالمنطقة نذكر الشيخ يحيى بن عبد الله والشيخ فتح الله بوراس والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي استقر بالمنطقة وكان له دور كبير بها، (علي أيوب، (دت)، صفحة 60 . 61)، وهو ما سنفصل فيه لاحقا، واما بخصوص أهم الممالك والدول التي قامت ببلاد السودان الغربي نذكر:

.4.1مملكة غانة:

تعد مملكة غانة من أشهر وأهم الممالك الإسلامية ببلاد السودان الغربي، وإن كلمة غانة تعني باللغة المحلية: القيادة العسكرية، وأصبحت فيما بعد تطلق على مركز القيادة ليعمم بعدها على كل المملكة، والتي أسستها أسرة من قبائل السونكي بقيادة قيمخ (ابن حوقل، 1979، صفحة 98)، وهنا لابد ان نشير إلى أن موقع مملكة غانا لا ينطبق مع موقع دولة غانا الحالية، وإنما يتوغل في الشمال، حيث يشمل جنوب موريتانيا وشرقي السنغال وجزء من مالي، وكانت عاصمتها كمبي صالح واستمرت من القرن 3 إلى 13 م ، وقد وصفها الجغرافي الإدريسي بأنها أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا وإليها يقصد التجار المياسير من جميع البلاد المحيطة بها (العربي، 1983، صفحة 281)، كما وصفها الجغرافي أبو عبد الله البكري بقوله : " **...هي مدينة كبيرة فيها اثنتا عشرة مسجد، وبها الأئمة والمؤدبون، وفيها الفقهاء وحملة العلم، وحواليها آبار عذبة منها يشربون..**" (البكري أ.، 1965، صفحة 175).

وقد دخل الإسلام إلى هذه المملكة عن طريق التجار المسلمين الذين أنشؤوا المدن والمساجد والمدارس، فكان الإسلام سببا في ظهور وازدهار هذه المملكة في العصر الوسيط وفرض سيطرتها على غرب الصحراء ومعابر التجارة إلى أن سقطت بيد المرابطين ابتداء من 1054م (بودواية، 2005، صفحة 40 . 41).

2.4.مملكة مالي:

ظهرت ونشأت هذه المملكة عقب سقوط مملكة غانة، وتدعى كذلك بمملكة الماندينج نسبة إلى شعبها الذي يعد من أوائل الشعوب اعتناقا للإسلام في المنطقة، وشملت مالي الحالية وشرق السنغال وشمال غينيا وشمال كل من بوركينافاسو والداهومي (البينين)، وانتشر الإسلام بها على نطاق واسع لاسيما المذهب المالكي (بودواية، 2005، صفحة 308)، ومن أشهر ملوكها: سونديانا كايتا الذي يعد المؤسس الحقيقي لهذه المملكة، وابنه منسا أولين المعروف بالملك الأحمر، والملك كنكا موسى وملوكا آخرين عُرفوا بالصراع والتنافس المستمر على السلطة، وتدخل الوزراء والمستشارين وكبار الموظفين في شؤون الحكم مما عجل بسقوطها وقيام دولة صنغاي (بودواية، 2005، صفحة 47.44).

3.4.دولة صنغاي:

تعد هذه الدولة بحق أبرز وأهم الدول التي قامت ببلاد السودان الغربي في العصر الوسيط، كان موطنها بالنيجر الأوسط وعاصمتها الأولى كوكيا ثم غاو، حكمتها أسرة زا ثم أسرة سني ثم جاءت فترة الأسقيين (بودواية، 2005، صفحة 56.53)، وعموما عُرف حكامها بالعمل على نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية، فأصبحت البلاد ذات ارتباط وثيق مع العالم الإسلامي خاصة بلاد المغرب ومصر في عهد المماليك (عبد الفتاح، 1972، صفحة 349).

واشتهرت المملكة بمدن عديدة كانت عبارة عن مراكز حضارية وتجارية واقتصادية وسط الصحراء، لعل أبرزها: مدينة غاو، جني، تمبوكتو، تكرور... (بودواية، 2005، صفحة 56.53).

4.4.مملكة الكانم بورنو:

قامت في المنطقة المحيطة ببحيرة تشاد ونهر الكانوري، والتي تشملها اليوم دولة تشاد وقسم من شمال نيجيريا، كانت عاصمتها كوكو، وهي تتكون من مجموعتين رئيسيتين: مجموعة الكانم وهم من هجرات قبائل البربر(الملثمين) والكانوري وهم من قبيلة بلالة وخزام العربيتين، واستمرت هذه المملكة إلى غاية نهاية القرن 19 حين احتلها الفرنسيون (زبادية، 1987، صفحة 25) (عبد الغني، 2015، صفحة 14).

وعموما هذه لمحة عن أهم الممالك والدول التي قامت واشتهرت ببلاد السودان الغربي، والتي عُرفت بنشاطها التجاري الكبير، وازدهارا في الحركة الثقافية والفكرية بمختلف عواصمها ومدنها، بفضل هجرة العلماء واستقرارهم بها، وتشجيع حكامها للعلم والعلماء والعمل على نشر الثقافة العربية الإسلامية.

5.4.دور المغيلي بالسودان الغربي:

بعد الضجة الكبيرة التي أثارتها قضية اليهود بتوات انتقل المغيلي لفاس كما ذكرنا لشرح موقفه للفقهاء هناك وبعد عودته اتجه جنوبا نحو بلاد الأهير شمال نيجيريا ودخل بلدة تكدة واجتمع بسلطانها وقرأ عليه أهلها ثم دخل بعدها بلاد وكشن واجتمع بسلطان كانو محمد زنقا بن يعقوب وكتب له رسالة في أمور السلطة عنوانها: فيما يجوز للحاكم وكذا ما يجب على الأمير من حسن النية للإمارة (ابن مريم، 1986، صفحة 254)، وبعدها ارتحل إلى بلاد التكرور ونزل مدينة غاو عاصمة مملكة صنغاي واجتمع بسلطانها الحاج محمد الكبير الأسقيا محمد الأول الذي وصل إلى الحكم سنة 1493 وعرف بإصلاحاته الكبيرة وسعيه لتصحيح فهم الناس للإسلام فاتصل بالشيخ المغيلي

واستفتاه في عدة مسائل حول الحكم والقضاء وبعض العادات والتقاليد وأمور أخرى ، ذات أهمية كبيرة في الحياة السياسية والاجتماعية للمملكة، ومن خلال أجوبة المغيلي يبدو أنه كان مطلعا على اطلاعا جيدا على أحوال السودانيين (زبادية، 1987، صفحة 159).

ومن تلك الأسئلة والأجوبة نذكر :

السؤال:

أصابتنا مصيبة في هذا البلد لعدم الأمانة فيمن ينسب إليه العلم من قراء بلادنا...ومنهم قضاة ومفسرون يتكلمون في دين الله ويزعمون أنهم من العلماء الذين هم من ورثة الأنبياء، وإنه يجب علينا الإقتداء بهم، أطلب من الله ثم منك أن تفتي لي بما علمك الله في هؤلاء القراء.

الجواب:

اعلم أعاننا الله وإياك أن الملك كله لله، فكن عبدا بطاعته يكن ربا بحفظه و إعانته،... ما من وال إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه إلا خبالا...

فعليك بأمرين: الأول أن تُبعد عنك أهل الشر وأن تُقرب منك أهل الخير ..وفي ذلك قلت:

إذا قرب السلطان أشرار قومه وأعرض عن أخيارهم فهو طالح

وإن قرب السلطان أخيار قومه وأعرض عن أشرارهم فهو صالح

السؤال:

...فيهم من يزعم أنه يعلم شيئا من الغيب بالخط على الرمل ونحوه، وبأحوال النجوم، ومنهم من يزعم أنه يجلب المصالح كسعة الرزق والمحبة، وهزم الأعداء في الحرب.

الجواب:

إن كل ما ذكرتموه ضلال عظيم فواجب على أمير المسلمين أن يغير تلك المناكر، ...أما من يزعم أنه يعلم بشيء من تلك الأمور فهو كاذب.. (زبادية، 1987، صفحة 160 . 190) .

وإن أهم ما يمكن ملاحظته من خلال أجوبته على مختلف الأسئلة من ملوك وأمراء إفريقيا هي شخصيته الحوارية، فعنصر الحوار كان مفتاح الشخصية المغيلية، فهو سلاح حضاري ارتكز عليه في مساره الدعوي والإصلاحي، وبواسطته استطاع أن يكسب حب وثقة من التقى بهم، وإضافة إلى الحوار نلمس في منهجه الإحتكام للعقل والمنطق والحكمة باعتبارها ضالة المؤمن (الجعفري، 2020، الصفحات 12-13).

6.4. مجادلته للسيوطي حول علم المنطق:

أثناء مقام الشيخ المغيلي بمملكة صنغاي التقى بالرحالة المصري جلال الدين السيوطي، والذي كان يعمل مستشارا وواعظا ومرشدا لدى الأسقيا محمد الأول الكبير، وتحاورا حول عدة مسائل وقضايا، ودار جدال بينهما حول علم المنطق اليوناني الذي ينكره السيوطي ويقره المغيلي (زبادية، 1987، صفحة 159).

وجادله المغيلي بقصيدة جاء فيها:

سمعـت بأمر ما سمعت بمثلـه وكـل حديث حكمه حكم أصلـــه
أيـمكن للمرء في العلم حجـــة وينهى عن الفرقان في بعض قوله
هـل المنطق المعني إلا عبــارة عن الحق او تحقيقه حين جهلـه
محاسنه في كل الكلام فهل ترى دليـــلا صحيحا لا يرد لشكلــه
.....

ورد عليه السيوطي كذلك بأبيات شعرية منها:

عجبت لنظم ما سمعت بمثله أتاني عن حبر أقر بفضلـــــه
تعجب مني حين ألفت مبدعا كتابا جموعا فيه جم بنقلـــــه
أقرر النهي عن علم منطق وما قاله من قال عن ذم شكله
.....
سلام على هذا الإمام فكم له لدي ثناء واعتراف بفضله (زبادية، 1987، صفحة 154)

ومن خلال هذا الجدال الراقي بين العالمين يتضح جليا اهتمام المغيلي بعلم المنطق وجعله علما ضروريا ومفيدا ولا يمكن الاستغناء عنه حتى وصفه بالفرقان وبالحق، وهذا ما يفسر تعجبه عند سماع رأي السيوطي وإنكاره لهذا العلم، حيث قال المغيلي في ذلك:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله.

هذا من جهة ومن جهة أخرى إن الثناء الكبير لجلال الدين السيوطي على الشيخ المغيلي والاعتراف بفضله رغم الاختلاف معه في الرأي لدليل على مكانة عالمنا بين علماء الأمة الإسلامية في زمانة، والمنزلة الرفيعة التي وصل إليها بين أقرانه.

ومن خلال مواقفه من قضايا عصره وتنقلاته وحرصه على محاربة الفساد يظهر جليا أن المغيلي كان من مثقفي عصره النشيطين المهمومين بقضايا الأمة والحريصين على إصلاح أحوال المسلمين وإرشادهم إلى الحق حكاما كانوا أو محكومين، كما عُرف أيضا بشخصيته القوية التي استطاع بواسطتها التأثير على الناس أينما حل وارتحل، و يُعد من القلائل الذين عُرفوا بالصراحة تجاه الحكام والنصح لهم (ابن مريم، 1986، صفحة 255) وفي ذلك يقول ابن مريم التلمساني :" **كان مقداما على الأمور جسورا جريء القلب فصيح اللسان محبا للسنة جدليا نظارا محققا...**" (المغيلي، 1968، صفحة 9 . 10).

كما قال فيه أحمد بابا التنبكتي صاحب نيل الابتهاج :" **محمد بن عبد الكريم المغيلي خاتمة المحققين..و أحد الأذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم**" (المغيلي، 1968، صفحة 21 . 22).

ومن خلال ما سبق يتضح أن الشيخ قضى جزء كبيرا من حياته في الدعوة إلى الإسلام ونشر أفكاره بالبلدان والمناطق التي حل واستقر بها، ومن دون شك أن مساهمته كانت بالغة في نشر تعاليم الإسلام، والأخذ بيد الحكام إلى جادة الصواب، وله الفضل في ادخال شعوب وقبائل في الإسلام، وإلى اليوم يشهد له الكثير من الأفارقة بمرجعيته في مختلف أحكامهم الدينية وحتى السياسية (عبدالله، 2010).

وبالإضافة إلى هذا كله كان الشيخ نشيطا في ميدان البحث والتأليف والتصنيف حيث ترك لنا مؤلفات عديدة وفي علوم مختلفة نذكر منها:

. البدر المنير في علم التفسير

. شرح مختصر خليل

. شرح الجمل للخونجي

. منهج الوهاب

. مقدمة في العربية

كتاب الفتح المبين

. تفسير الفاتحة

. مفتاح النظر في علم الحديث

. شرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب الفقهي (بوعزيز، 2003، صفحة 252) .

وحسب بعض الدراسات فإنه بلغ عدد مصنفاته سبعة وأربعين مؤلفا ما بين مطبوع ومخطوط، ولايزال بعضها محفوظا في خزائن منطقة توات وبعض الخزائن والمكتبات الإفريقية، وبالإضافة إلى هذه المؤلفات صدرت عن

الإمام عديد القصائد الشعرية والنصوص النثرية، ومن خلالها تعرفنا على الإمام المغيلي الإنسان والأديب المفعم بالأحاسيس (الجعفري، 2020، الصفحات 7-8)،

ومما قاله من الشعر في ذم الدنيا:

هي الدنيا غُرور في غرور وأحلام تمر على الدهور
هي الدنيا تُكنى بأم أنثى ومرجع من عليها للقبور
لها كيد عظيم من نعيم وبيض قاصرات الطرف حور
تُري للناس منها بعض شيء وتُدَلي نحوهم حبل الغرور
فمن يرقى لها يبقى صريعا ويرقى صدره بعض النسور
فطوبى لمن ولى سريعا وأولى نفسه خير الأمور (أحمد أبا الصافي، 2017، الصفحات 23-24)

هذا وترك المغيلي وراءه تلامذة كثر خاصة بغرب إفريقيا، والتي لايزال أهلها يذكرونه إلى اليوم بالخير ويعترفون بفضله على مجتمعاتهم (ابن مريم، 1986، صفحة 256).

وعموما يمكن القول أن المغيلي كان دليلا ومظهرا إن صح التعبير على الروابط والعلاقات الثقافية بين المغرب الإسلامي بصفة عامة وبلاد السودان الغربي، وإن هذه الروابط لا تعود لعصر المغيلي بل هي قديمة ظهرت بشكل واضح بعد دخول الإسلام إلى بلاد المغرب، وأخذه في الانتشار جنوبا عن طريق عقبة بن نافع ومن جاء بعده من الولاة (العربي، 1983، صفحة 215 . 217)، ومن دون أن ننسى الدور الكبير للتجار وعرب بنو هلال والمرابطون و من بعدهم الموحدين، إضافة إلى الطرق الصوفية والزوايا في نشر الإسلام جنوبا.

هذا وقد أحدث الإسلام تغييرا واضحا في حياة السودانيين رغم أن إسلام الكثير منهم كان سطحيا في البداية ويشوبه الكثير من الخرافات، وهنا يظهر دور العلماء أمثال المغيلي ممن عملوا على تصحيح المفاهيم الخاطئة عند العامة فكان لهم الدور الكبير في تمتين الروابط الثقافية بين القطرين، دون أن ننسى الدور الكبير الذي قام به بعض السلاطين من بلاد السودان الذين عملوا على جلب العلماء إلى بلدانهم وإرسال البعثات الطلابية إلى بلاد المغرب الإسلامي مثل السلطان منسا موسى سلطان مالي (زبادية، 1987، صفحة 350) .

بيد أن عهد الأسقيين بمملكة صنغاي يعد من أزهى العهود الذي عرفت فيه العلاقات الثقافية أوج ازدهارها حيث توافدت على المملكة وفود العلماء والطلاب خاصة في عهد الحاج محمد وابنه داود، كما كانت للمدن الإسلامية

بالسودان مثل مدينة جني، غاو، تمبكتو وغيرها أدوارا هامة في تلك العلاقات إذ كانت مقصدا للعلماء والطلاب على حد السواء.

5.خاتمة:

وما يمكن قوله في الأخير أن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي كان من العلماء الكبار الذين عرفهم المغرب الأوسط والإسلامي بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة، وذلك لعلمه الغزير ونشاطه التعليمي الكثيف ودوره الإصلاحي الذي عم مناطق جغرافية واسعة، وكان من القلائل الذين نادوا بإصلاح الأوضاع القائمة وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام لاسيما ببلاد السودان الغربي حيث عمل جاهدا على نشر العلم والثقافة العربية

الإسلامية بتلك المنطقة وربط بلاد السودان ثقافيا ببلاد المغرب، كما لا ننسى الدور الكبير الذي قام به تلامذته من بعده في مواصلة ما بدأه شيخهم المغيلي من إصلاح ونشر للعلم والمعرفة أمثال محمد بن عبد الجبار الفيجيجي و إبراهيم بن عبد الجبار الفيجيجي والعاقب بن عبد الله الأنصمي و عمر الشيخ بن أحمد البكاي وغيرهم.

وما المغيلي إلا واحدا من أعلام الجزائر الذين سطع نجمهم وتركوا بصمة واضحة في البلدان التي حلوا واستوطنوا بها، ولا يزال ذكرهم باق إلى يوم الناس هذا، وإن كان المغيلي قد ترك أثرا بإفريقيا فهناك من الأعلام الجزائريين من ترك بصمة وأثرا واضحا ببلاد الأندلس والمغربين الأقصى والأدنى ومنهم من ترك أثرا جميلا ببلاد المشرق سواء بمصر أو الشام أو بلاد الحجاز ...، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المكانة العلمية للجزائر عبر التاريخ وما وصل إليه أعلامها من نبوغ فكري وصدارة علمية في الماضي والحاضر على حد السواء.

6. قائمة المراجع:

.الشريف ابن مريم، (1986)، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .زبادية عبد القادر، (1987)، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

. بوعزيز يحيى، (2003) مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، دار الغرب، الجزائر.

. بودواية مبخوت، (2005)، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد بني زيان، دكتوراه دولة في التاريخ،جامعة تلمسان، الجزائر.

.يختار الحسين، (2005)أضواء على حياة الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي، مجلة رسالة المسجد، السنة الثالثة، العدد الثاني، الجزائر.

. بكري البكري، (1993)، تمنطيط رمز تاريخ وعنوان حضارة، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، السنة الأولىن جامعة وهران.

.ناجي علي أيوب، (دت)، لمحة عن الإسلام بنيجيريا بين الأمس واليوم، دار الكتاب الحديث، الكويت.

.العربي إسماعيل، (1983)، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

. محمد بن حوقل، (1979)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت.

. فرج محمود، (1977) إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

. سعيد عبد الفتاح، (1972)، مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت.

. المغيلي محمد بن عبد الكريم، (1968)، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

. الجعفري أحمد، (2020)، حوار الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (909هـ) مع ملوك وأمراء غرب إفريقيا وأثره في حركة الفتح الإسلامي لإفريقيا، مجلة الفضاء المغاربي، المجلد الرابع، العدد الأول.

. الجعفر أحمد أبا الصافي، (2017)، الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي مصلحا/ أديبا، مجلة الفضاء المغاربي، المجلد الأول، العدد الرابع، جامعة تلمسان.

. المغيلي خدير، (2013) مخطوطة فاتحة الكتاب للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من تحصيل البداية إلى التحقيق والنهاية، مجلة رفوف، العدد الثالث، جامعة أدرار.

. البكري أبو عبد الله، (1965)، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، نشر دوسلان، باريس.

. عبد الغني أبمبولا عبد السلام، (2015)، اسهامات المغيلي في تطوير المخطوطات العربية في نيجيريا، مخطوطة العوامل في النحو العربي للجرجاني نموذجا، مجلة رفوف، العدد السادس، جامعة أدرار.

. شترة خير الدين، (2018)، الإرث الفكري والإصلاحي للشيخ المغيلي في إقليم توات وحواضر السودان الغربي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 21، جامعة الوادي.

. رابح دفرور، مقلاتي عبد الله، (2010)، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي مصلحا دينيا وسياسيا في توات والسودان الغربي، اعمال الملتقى الوطني الرابع، اسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية في العصر الحديث (1500-2000)، ص ص 25-26.